

إستكشاف فلسطين المطموسة

الأماكن المقدسة حيثما وجدت، وأضفنا الاسم البديل بين قوسين إن وجد أو اختلاف تسميته.

كذلك أضفنا في الدليل المناطق الممنوعة والمغلقة أو المحظور دخولها لحماية للزائر. هذه المناطق هي مناطق عسكرية أو بها ألغام أو يمنع دخولها لأي سبب. مرة أخرى نضيف أن حدود هذه المناطق في الدليل غير دقيقة، ويستحسن اتخاذ الحيطة والحذر، خصوصاً إذا رأيت يافطة بلغة لا تقرأها أو أسوار أو أسلاك شائكة.

لقد أدرجنا في الدليل أسماء المدن والقرى، وكذلك أسماء الأماكن المقدسة إذا عرفت، باللغتين العربية والإنجليزية. وأضفنا أسماء المدن والقرى بالعبرية أيضاً لكي يتمكن اليهود المتحدثين بالعبرية العابرون لتلك المنطقة من معرفة أسماء تلك القرى التي يمرون بها.

الأسماء بالإنجليزية أخذت من خرائط الانتداب. والأسماء بالعربية هي الأسماء الدارجة والمعروفة لدى الفلسطينيين والمذكورة في عدد كبير من المراجع. أما بعض الأسماء التي أضيفت للضفة خصوصاً في القرى الصغيرة والخرب فهي مأخوذة من خريطة أعدها المركز الجغرافي الفلسطيني التابع لجمعية الدراسات العربية في القدس. وفي هذه الحالة الأخيرة يوجد بعض الاختلاف البسيط بين الاسم بالإنجليزية والعربية، تركناه على حاله، حفظاً لأصل المرجع.

وقد أضفنا أسماء الأماكن في قضاء بئر السبع، بالإضافة إلى مواطن العشائر، لأن ذلك يبين حدود ملكية أراضيها، بموجب "قانون العرف والعادة". وحينما توجد أراضي العشيرة في أكثر من مكان، أضفنا اسمها مرة أخرى حيث توجد مواقعها.

وعند مطالعة المساحة المبنية للقرى والمدن الفلسطينية أو حدودها البلدية في الدليل، يجب تذكر أن هذه مساحتها في الأربعينات من القرن الماضي ولا يمكن مقارنتها بمساحة العمران الحالية إلا لو تضاعفت المساحة الأصلية سبع مرات لكي توازي زيادة عدد السكان الفلسطينيين اليوم. وإلا تكون المقارنة بين مساحة العمران في فلسطين ١٩٤٨ ومساحة العمران الحالي غير سليمة.

أما الطرق فقد تم إيضاحها بتفصيل كبير كما هو مبين في المفتاح. أما الطرق في الضفة الغربية ورقمها ودرجتها فإنها تتغير وتزيد باستمرار. وهذا ينطبق بالذات على الطرق المخصصة للمستوطنين اليهود (Jews-Only Roads). وكذلك مسار حائط الفصل العنصري فهو غير مؤكد في كل الأماكن. وكما يعلم الفلسطينيون في الضفة الغربية حق العلم، فإن هناك مئات من نقاط التفتيش والحواجز والبوابات وغيرها من العقبات أمام المرور. لقد أدرجنا علامات ورموزاً على تواجد النقاط الهامة، ولكنها بالقطع غير كاملة وهي معرضة للتغيير دائماً. ولذلك من الضروري الحذر عند استعمال الطرق، خصوصاً المخصصة لليهود فقط، لأن ذلك قد يعرض المسافر البريء لخطر على حياته أو إصابته أو اعتقاله.

لمزيد من المعلومات الحديثة عن أحوال الطرق في الضفة الغربية يمكن متابعة موقع منسق الأمم المتحدة للشئون الإنسانية.

<http://www.ochaonline.un.org>

أو موقع بتسيلم:

<http://www.btselem.org/index.asp>

ولكي تثري رحلتك بمزيد من المعلومات عن فلسطين وقراها وجغرافيتها، يمكن زيارة هذه المواقع:

<http://www.plands.org>، <http://www.palestineremembered.com>،

<http://www.prc.org.uk>، <http://www.badil.org>،

<http://www.arabhra.org>، <http://www.un.org/unrwa>.

نأمل ألا تشيكل كل هذه التحذيرات عن زيارة الوطن. فهذا ثمن بسيط لا يقارن بروعة التجول على أرض الوطن وتسميم هوائه، والإحساس بالانتماء له أبا عن جد على مدى القرون.

هذا الدليل بين يديك يحتوي على ثروة من المعلومات، ومدى ما تعرف منها يتوقف على مدى رغبتك في البحث عنها، كلها أو بعضها. مهما كان الأمر، فإننا نأمل أن تجده مفيداً سواء كنت عائدًا للوطن، أو حاجاً للديار المقدسة أو زائراً سياحياً.

ولقد بذلنا كثيراً من الجهد للوصول إلى أفضل وأسهل طريقة لإيضاح المعلومات الغزيرة في الدليل سواء للمسافر أو العائد أو الباحث. وقبل أن تبدأ رحلتك، يمكن البدء بإلقاء نظرة سريعة على مفتاح الخرائط (Legend) الذي يحتوي على رموز محتويات الدليل. وهو مقسم إلى ثلاثة أقسام: الأول هو القرى المهجرة والحالية في فلسطين، والثاني البلديات في إسرائيل وشبكة الطرق كما هي اليوم، والثالث هو المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ في الضفة وغزة، ويشمل ذلك حائط الفصل العنصري والحواجز والمستوطنات الإسرائيلية.

وعندما تتجول في الوطن، ستجد غابات ومنتزهات عديدة وستجد شجر الصبار بشوكه وشكله المألوف. هذه علامة أكيدة على وجود موقع لقرية فلسطينية هُجر أهلها عام ١٩٤٨، وقد دمر غالبها. هناك قد تجد أطلال بيوت أو بقايا مقبرة أو مكان عبادة قائماً مكانه أو تهدم. أما شجر الصبار الذي زرعه الفلسطينيون على مدى قرون لتحديد كرومهم وأملاكهم، فهو مثل الذين زرعه، إذا اقتلعت، يعود إلى الظهور مرة أخرى ولا يمكن إفتاؤه.

أما المنتزهات التي أنشئت بعد عام ١٩٤٨ فهي تغطي كثيراً من أراضي اللاجئين السليبية والتي تساوي ٩٢٪ من مساحة إسرائيل. وهذه الأراضي تستغلها مستعمرات الكيبوتز والموشاف وقواعد الجيش. ويبين الدليل مواقع المنتزهات التي أقامها الصندوق القومي اليهودي (KKL أو JNF) على أراضي اللاجئين ومواقع المنتزهات التي أقامت سلطة المنتزهات القومية (NPA)، وكذلك مواقع أخرى يديرها مجتمعين. وأهمية التفريق بين الاثنين أن الصندوق القومي اليهودي مؤسسة عالمية ملتزمة حسب قوانين البلاد المسجلة فيها بعدم ممارسة العنصرية. وهناك أيضاً محميات طبيعية ليست معددة في الدليل ولكنها ظاهرة في خلفية الخرائط.

وقد أطلق على هذه المنتزهات أسماء شخصيات صهيونية أو متبرعين يهود في الخارج أو ساسة غربيين خدموا المشروع الصهيوني. ونظراً لكثرة هذه المنتزهات وأتساع رقعتها أشرنا إليها في أكثر من مكان، وخصوصاً قرب أسم القرية التي اقتطعت من أراضيها هذه المنتزهات.

نعود إلى منتزهات الصندوق القومي اليهودي. أقيمت هذه إما على ٩٣٦,٠٠٠ ديم سجلت باسم الصندوق في عهد الانتداب وإما على ٢,٢٨٠,١٤٢ ديم استولى عليها الصندوق من أراضي اللاجئين بموجب عقد بيع صوري بين الصندوق وحكومة إسرائيل الوليدة عام ١٩٤٩ و ١٩٥٠. ورغم أنه لم تتشر خرائط دقيقة للأراضي المباعة، إلا أننا تمكنا من بيانها في الدليل، مع أن حدودها تقديرية، لكن مساحتها الكلية صحيحة. وبالمقارنة أيضاً بين كل قرية حدود أراضيها بدقة حسب الانتداب البريطاني لمعرفة مدى وكيفية الاستيلاء على هذه الأراضي ومن أقام منشأته عليها.

ولكي تصل إلى موقع قرية أو مكان مقدس فيها، عليك أحياناً أن تسلك طرقاً جانبية وعرة، وربما تخوض في حقل من الأعشاب والحشائش. وهو أمر يستحق المعاناة، لأنك تجد بعده مسجداً أو كنيسة أو مقبرة أو مقاماً أو مزاراً عدت عليه عوادي الزمان، وتدمر بعضها، أو أهمل أو أقل أو مُنع الوصول إليه. يبين الدليل كل هذه الأماكن، وحتى لو لم تجد أثراً لها اليوم، تعرف حسب الخريطة أنه كان هنا مكان مقدس. ويجدر بنا أن نذكر أنه مهما كانت دقة الخرائط، فإن الموقع المقدس صغير ويمكن أن يظهر على يمين الطريق، لا على يساره، وأنه داخل سور وليس خارجه. ولكن بقليل من الصبر والمثابرة تظفر بما تبحث عنه.

لقد جمعنا كل ما أمكن من معلومات عن الأماكن المقدسة في فلسطين. أولها خرائط الانتداب البريطاني وما تبع ذلك عام ١٩٥٠ من مسح قامت به لجنة الأمم المتحدة للتوفيق في فلسطين. وثانيها الدراسة الميدانية الموسعة التي قام بها شكري عراف عام ١٩٧٦. وثالثها الدراسة الميدانية التي قامت بها "مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية" في أم الفحم لشمال فلسطين و"جمعية الأقصى لرعاية الأوقاف والمقدسات الإسلامية" في كفر بّرا لجنوب فلسطين. وقد أعطينا الأولوية لخرائط الانتداب وأضفنا إليه ما زاد عن ذلك من المصادر الأخرى وأمكن التحقق منه قدر الإمكان وأزلنا التكرار إن وجد. كما أننا أضفنا الأسماء التي تطلق على

حقائق وراء الخرائط

النكبة

وفي عام ١٩٤٧ تخلت بريطانيا عن مسؤولياتها في فلسطين. بعد أن قلبت الميزان لصالح المهاجرين اليهود. وحولت القضية إلى هيئة الأمم المتحدة. خليفة عصبة الأمم. الوصي الأصلي على فلسطين إلى أن تنال استقلالها وحريتها.

وبضغط من أمريكا ودول أوربية. صوتت الأمم المتحدة لصالح قرار يقضي بتقسيم فلسطين بين دولة ذات سيادة عربية وأخرى ذات سيادة يهودية. على أن يبقى كل السكان في ديارهم المعتادة دون اقتلاع أو ترحيل. ويقضي القرار بأن تكون مساحة الدولة اليهودية ٥٥.٥٪ من مساحة فلسطين والعربية ٤٤٪ وأقل من ١٪ لمنطقة القدس وقراها باعتبارها منطقة منفصلة. وهذا معناه أن اليهود بسطوا سيادتهم على أرض جديدة تساوي عشرة أضعاف ملكيتهم أثناء الانتداب. وأن ٤٥٧ بلدة عربية فلسطينية وجدت نفسها فجأة تحت سيادة المهاجرين اليهود.

وقرارات الجمعية العامة هي توصيات غير ملزمة. لأنه لا يحق لها أصلاً أن توزع أراضي فلسطين أو أي بلد على الغير. ولذلك لم يقبل العرب بالقرار طبعاً. ولكن الصهاينة. بقيادة دافيد بن جوريون. لم يقبلوا به في الواقع أيضاً. وإن قبلوا علانية. لأن أطماعهم أكبر من ذلك. فخططوا للاستيلاء على مساحة أكبر من فلسطين.

في ربيع عام ١٩٤٨. أصبحت خطة ج (بالعبرية دالت) جاهزة لغزو فلسطين. وهي كما يدل الاسم الخطة الثالثة لهذا الغرض. كان غرضها هو: "تدمير القرى بإشعال النار فيها أو نسفها ووضع الأنغام في ركامها" وبالنسبة للمناطق ذات الكثافة العالية "حصار القرى والمدن وتطويقها. وطردها السكان من ديارهم إذا قاموا بأي دفاع".

بدأ تنفيذ الخطة في أبريل ١٩٤٨. وقبل أن ينتهي الانتداب البريطاني في ١٥/٥/١٩٤٨. احتل الصهاينة ٢٠٠ قرية فلسطينية وطردها أهلها الذين بلغ عددهم نصف لاجئ النكبة. وذلك قبل أن يدخل جندي نظامي عربي واحد لإنقاذ الفلسطينيين. وقبل إعلان دولة إسرائيل في ١٤/٥/١٩٤٨ على ١٣٪ من مساحة فلسطين.

لكن العمليات العسكرية التي قامت بها القوات الإسرائيلية (بعد إعلان الدولة) استمرت حتى أبريل ١٩٤٩. وبلغ مجموع القرى والمدن التي هُجر أهلها ٦٧٥ بلدة من أصل ٧٧٤ بلدة وقعت تحت وطأة الغزو الإسرائيلي.

وبذلك احتلت قوات الغزو الإسرائيلي ٧٨٪ من مساحة فلسطين التي أصبحت تسمى "إسرائيل".

خريطة ٣ ص 239 تبين مراحل الغزو الإسرائيلي لفلسطين من أبريل ١٩٤٨ إلى أبريل ١٩٤٩ والأراضي التي احتلت في كل مرحلة. **خريطة ٤** ص 238 تبين مكان القرى الفلسطينية المحتلة وتصنيفها حسب ما هو مبين. لقد أضفنا إلى هذه الخريطة القرى الفلسطينية التي بقيت، والتي تكونت خلال خمسة عقود بعد عام ١٩٤٨ بسبب زيادة عدد السكان. بعض هذه القرى الجديدة الموجودة على هذه الخريطة لا تعترف به إسرائيل ولا تظهر على خرائطها ولا تقدم له خدمات صحية وتعليمية وغيرها. ولم تسمح إسرائيل بنشوء مدينة فلسطينية جديدة واحدة.

الجدول ١ ص 237 يبين عدد كل القرى الفلسطينية والمستعمرات اليهودية في كل فلسطين أثناء الانتداب موزعة حسب أفضية فلسطين من جهة وحسب وقوعها داخل خط الهدنة (إسرائيل) أو خارجه أو عليه. وحسب تصنيفها.

الجدول ٣ ص 237 يبين القرى الفلسطينية فقط في عهد الانتداب. ومنه يتضح أن ٧٧٤ بلدة وقعت تحت سيطرة إسرائيل عام ١٩٤٨/١٩٤٩. ومن هذه بقيت ٩٩ بلدة في إسرائيل. وهُجر أهالي ٦٧٥ بلدة. وهؤلاء هم اللاجئون الفلسطينيون الذي أبعدها عن ديارهم إلى اليوم. إن نفيهم في الشتات يمثل بجميع المقاييس الدولية أكبر وأهم وأطول قضية لاجئين في العالم. وهو ما دعا إلى حروب وصراع واحتلال على مدى أكثر من نصف قرن.

لم يحدث في تاريخ فلسطين الطويل أن تعرض هذا البلد لمثل هذا الاقتلاع لأهله من مواطنهم والاستيلاء على ديارهم بهذا الحجم وهذا الاتساع شبه الكامل. بطريقة منظمة. استمرت على مدى عقود من السنين مثلما حدث في فلسطين عام ١٩٤٨. هذا الحدث الجلل أصبح معروفاً في العالم كله باسم "النكبة". وهذا هو أيضاً ما يسمى "بالتنظيف العرقي" لفلسطين الذي أعترف به عدد من المؤرخين الأجانب في المدة الأخيرة. لقد تم تهجير ٨٥٪ من الفلسطينيين في أرض فلسطين التي أصبحت تسمى إسرائيل. وكانوا يسكنون في مواطنهم في ٦٧٥ بلدة. هُجروا منها وسلبت أرضهم التي تساوي مساحتها ٩٣٪ من مساحة إسرائيل وما عليها من ممتلكات وما بها وما تحتها من ثروات.

كيف حدث ذلك؟

وقعت فلسطين تحت وصاية الانتداب البريطاني بعد الحرب العالمية الأولى. بغرض تمكين أهل فلسطين من استعادة استقلالهم وحررتهم بعد الحكم العثماني وبناء مؤسساتهم الديمقراطية لكي يحكموا أنفسهم. وفي نفس الوقت أعطت بريطانيا وعداً إلى اليهود الصهاينة بالمساعدة في إنشاء وطن قومي (وليس دولة) في (وليس على كامل) فلسطين. وبالطبع فإن هذا الوعد الاستعماري مخالف لحق تقرير المصير للأغلبية الوطنية الفلسطينية في البلاد.

في عام ١٩١٧ كانت نسبة اليهود الفلسطينيين ٩٪ من مجموع السكان. ونسبة الأراضي التي اشتروها كرعايا عثمانيين لا تتجاوز ٢٪ من مساحة فلسطين. وقد بدأت الإدارة البريطانية المدنية لفلسطين عام ١٩٢٠ وعلى رأسها الصهيوني البريطاني هربرت صمويل كأول مندوب سام بريطاني. وخلال ٥ سنوات من إدارته. وضع القوانين التي أصبحت فيما بعد أساساً لقيام إسرائيل. وهي قوانين لتسهيل انتقال الأراضي إلى يهودية. وتسهيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين. وبناء مؤسسات يهودية مستقلة للعمال والبنوك والتعليم والكهرباء. وأهم من هذا كله. قوات مدرية ومسلحة. وقد ثار الفلسطينيون عدة مرات على هذا الاعتداء على بلادهم. وذلك في أعوام ١٩٢١. ١٩٢٩ وأكبرها الثورة العربية الكبرى ١٩٣٦ – ١٩٣٩. لقد طالب الفلسطينيون دائماً بانتخاب مجلس نيابي وحكومة تمثل الشعب الفلسطيني. ولكن بريطانيا رفضت. وعلى العكس. أخدمت بريطانيا الثورة. خصوصاً في نهاية الثلاثينات. وقتلت وسجنت آلافاً من الفلسطينيين. ودمرت كثيراً من القرى والمحصولات وطبقت إجراءات العقاب الجماعي. وحلت الأحزاب السياسية. ونفت أو سجنّت القادة الفلسطينيين. وبذلك تمزق نسيج الشعب الفلسطيني وأصبح عاجزاً عن الدفاع عن نفسه. وعندما مرت فترة الحرب العالمية الثانية بهدوء. كان الصهاينة جاهزون للانقضاض على فلسطين.

وفي هذه الفترة. سمحت بريطانيا للمهاجرين اليهود أن يبنوا مؤسساتهم دون إعاقة. وتمكنوا من تكوين قوة عسكرية مدرية بلغ قوامها ٦٥.٠٠٠ جندي في بداية عام ١٩٤٨ وصلت إلى حوالي ١٢٠.٠٠٠ في نهاية العام. بينما لم يتمكن الفلسطينيون من الدفاع عن قراهم في هذا العام. إلا بواسطة متطوعين لا يتجاوز عددهم ٢٠ – ٤٠ في كل قرية. لا يملكون خبرة عسكرية ولا أسلحة حديثة ولا قيادة مشتركة. ولا يزيد عددهم في كل فلسطين عن ٣.٠٠٠ مناضل.

أما من حيث ملكية الأراضي فلم يتمكن المهاجرون اليهود من زيادة ملكيتهم للأراضي تحت ظل الانتداب البريطاني أكثر من ٥.٥٪ من مساحة فلسطين في نهاية الانتداب. أقاموا عليها مستعمرات. أنظر **خريطة ١** ص 241 وبقي باقي فلسطين عربياً صرفاً. لكن خطر الهجرة اليهودية تمثل في زيادة عدد اليهود حتى أصبح ٣٠٪ من مجموع السكان في نهاية الانتداب. تمركزوا في مدن ثلاثة هي القدس ويافا وحيفا. وكانت نسبة ملحوظة من هذه الهجرة ما يسمى بالهجرة غير الشرعية. أي بدون أوراق رسمية من حكومة فلسطين. لكن حكومة الانتداب كانت تغض الطرف كثيراً عن وصول البواخر إلى شواطئ فلسطين في جنح الظلام. أنظر **خريطة ٢** ص 240.